مختصَر كتاب

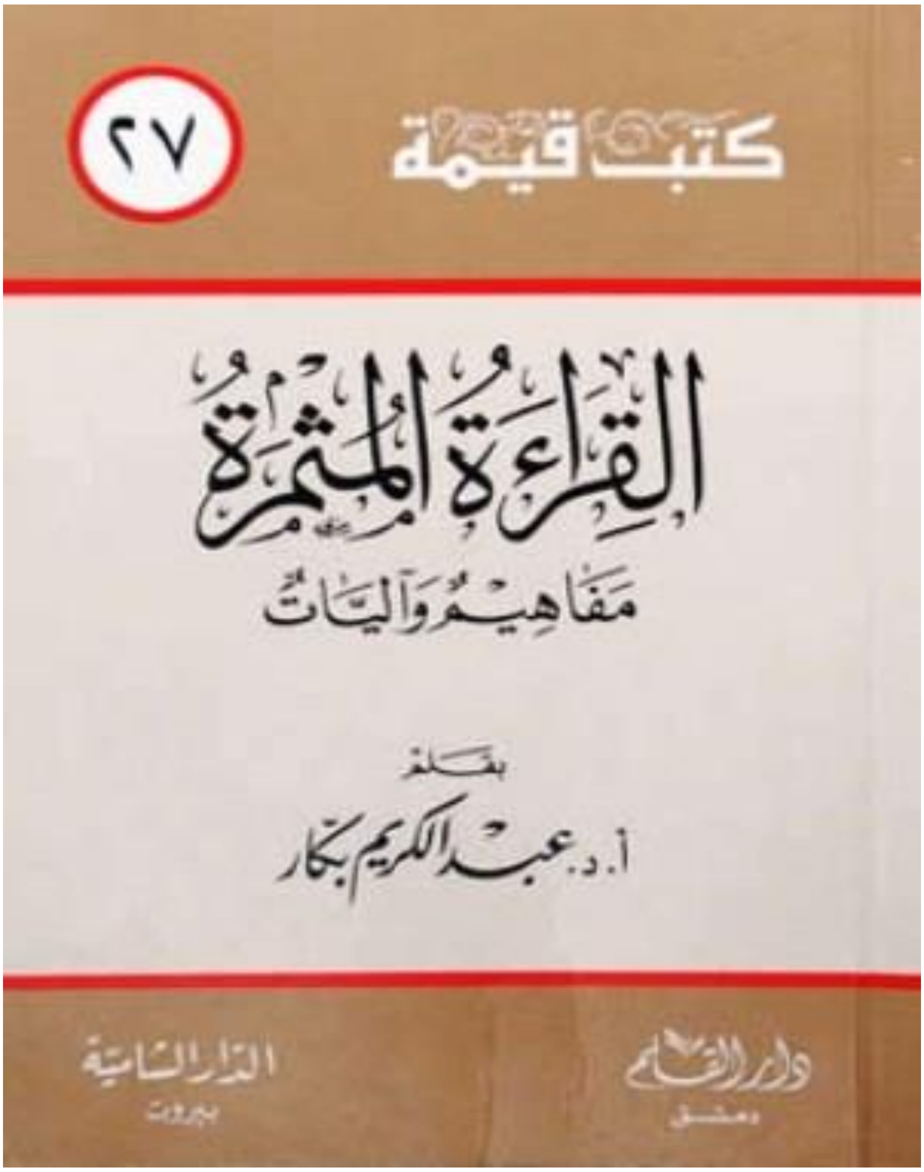

اختصَرَه: ☐

ماجد بن محمد العسكر

التعلم مَدى الحياة :☐

إنَّ فَطْر الله – جلا وعلا – بني الإنسان على التساؤل وحُب الاستكشاف أتاح لهم أن يندفعوا دائمًا نَحوَ معرفة المزيد ، دون أن يجدوا أي حدود للتشبُّع أو الارتواء .

وقد كان العلم في القديم يقوم على (النقل) ، فكان التعلم والتعليم عبارة عن أفعالٍ مقترنةٍ بالزمان . وحين صار للغات أبجديات ، وتمتع الإنسان بنعمة الكتابة ، انتقلَت المعرفة مِن حَيّز الزمان إلى حَيِّز المكان .

وهناك الكثير مِن الدواعي التي تفرض على الواحد منا أن يتعلم ، ويقرأ ، ويكتسب الخبرات مدى الحياة ؛ منها :

١ – أنَّه كلما زادت المعرفة، اتسعت منطقة الجهل ؛ إذ هي تعمل على زيادة حاجة الإنسان إلى المعرفة ، والتَّوغُّل في حقول المعرفةِ يتيح إمكاناتٍ ومجالات جديدة ، ويوَلِّد دوافع جديدة للتقدم الأوسَع نطاقاً .

٢ – أنَّ كسب الرزق مرتبطٌ بمدى ما يُحَصِّلُه الناس مِن علم . والأُمَّة التي لا يُحَسِّن أبناؤها مِن مستوى معارِفِهم – على نحوٍ مستمر – سوف تَجِد نفسَها تابعة للأمم الأخرى ، ومستغَلَّة على كل المستويات !

٣ – إن ما نمتلكه اليوم مِن معارف وخبرات لا يتمتع بقيمة مطلقة ، وأهمية كل جزء في العالَم تَنبع دائماً مِن قدرته على الصمود ، والمنافسة ، وحل المشكلات ، وما يمتلكه مِن وزنٍ في الساحات العالمية . فالإسلام بما أنه بنية حضارية راقية ، لا يتجلى على نحو كامل إلا عبر تجربة معرفية وحضارية رائدة ؛ مما يعني أنَّ التخلف الذي نعاني منه قد حال بيننا وبين رؤية المنهج الرباني .

٤ – كلما كانت ثقافة الإنسان ضحلة، ضاقت مساحة تصوراته، وأصبح شـــديد المحلية في نماذجه ورؤاه ، عـاجزاً عن تجاوز المعطيات الخاطئة التي تَشَرَّبَها مِن مجتمعه . والقراءة الواسعة والاطلاع المتنوّع هو الذي يُعَظِّم الوعي لديه مِن خلال المقارَنَة وامتداد مساحات الرؤية .

وقد كان علماء السَّـــلَف لا يَثِقون بِعِلم العالِم الذي لَم يَرحل ؛ إدراكاً منهم لِمخاطِر البرمجة الثقافية القائمة على معطيات محلية محدودة .

٥ – التدفق الهائل للمعلومات، وتراكم منتجات البحث العلمي في اتســاع مستمر، والنتيجة المباشرة لذلك: هي تقادُم ما بحوزتنا مِن معارف ومعلومات . وتقـادُم المعلومات تارة يتجلَّى في ظهور زيف المعلومات ، أو عدم دقتها ، وتارة يتجلى في عدم ملاءَمتها للخطط الجديدة ، وأحيـاناً بتحول الاهتمام عنها ، وأحياناً بقراءتها قراءة جديدة .. والعلاج لذلك كله : دوام الاطلاع والمتابعة، حتى لا يتدهور ما لدينا مِن معرفة ، وحتى لا نَغرق في الضـــلالات والأوهام التي تَنتشر باعتبارها مفرزات جانبية للتقدم العلمي .

القراءة ومصادر المعلومات الأخرى :

إن وســـائل الإعلام تقدم برامج على درجة عـالية مِن الإتقان ؛ مما يعطيها جاذبية عالية ، كما أنها تقدم معلومات متشظية قلما تتصل بالحاجة المعرفية الحقيقية للمتابع لها ، كما أن المعروف أن المعلومات الكثيفة حول أي شـيء قـد تقف حـائلاً دون فهمـه على الوجـه الصــــحيح ، تمـاماً مثل الحقـائق والمعلومات القليلة عنه .

مِن وجهٍ آخر فإن وسـائل الإعلام الحديثة قد سَبَّبَت أضـراراً بالغة للشـعور بالحاجة إلى التفكير، فمعدو برامجها قاموا بذلك نيابة عن المتلقِّين !

إنَّ مُشـــاهِـد وســـائل الإعلام الحـديثة يتلقى مُرَكَّبًا كاملا مِن البيانات والإحصاءات بأسلوب بلاغيٍ بارعٍ، مما يدفعه إلى نوعٍ مِن الاستسلام لها ! وهذا كله لا يجعلنا ننكر أن الدفق الإعلامي والمعلوماتي الهائل قد أوجد نوعاً مِن الاســتنارة العامة لدى الناس ، كما أنه مَلَّكَهم الكثيرَ مِن المعلومات العامة .

إنَّ الهامش الذي يَفصل بين التسلية وبين التثقيف الحق هامشٌ ضيّق ، ومِن السهل أن يكون ما نستمع إليه ونشاهده ضَرباً مِن ضروب التسلية ، وتزجية الوقت ، ونحن نظن أننا نتعلم !

وأعتقد أن الكتاب ما زال هو الوســيلة الأســاســية للتثقيف الجيد، حيث نســتطيع أن نمارس حريتنا كاملة في اختيار ما نحتاج إليه، وهو لا يحتاج إلى آلات مساعدة للاطلاع عليه ، كما أنه رخيص الثمن إذا ما قُورِن بِغيرِه .

مِن أجل القراءة :

لا ريب أن جَعل القراءة إحدى مفردات أعمالنا اليومية لن يكون يســيراً ؛ حيث يقتضــي تغييراً جوهرياً في ســلوكنا وعاداتنا ، كما يتطلب توفير المال والوقت ، وقبل ذلك الأهداف والدوافع .

وإليك أهمَّ ما أظن أن علينا أن نقوم به من أجل إشـــاعة ثقافة (اقرأ) ، وذلك على النحو التالي :

١ – الدافع :

إن التخلف الحضاري يَجعل المرء مشغولاً بتلبية حاجاته الأساسية ، ويجعل حِسَّه وحَدسه ضعيفاً نحو كل ما يُحَسِّن نوعية حياته ، ويدفع به في مراقي

الكمال . وهذا هو السبب الجوهري في انعدام الدافع نحو القراءة لدى كثير من المسلمين .

لقد سَطَّرت المجتمعات الإسلامية الأولى مِن المآثِر في تَعَشُّقِ المعرفة ، والسعي في سبيل تحصيلها ، ما لَم يكن معهوداً في العالَم القديم ؛ لأنها نَظَرَت إلى العلم على أنه من أفضل القربات إلى الله – تعالى – ، كما أنها رأت فيه أفضل سبيل إلى بلوغ القمة ، وهذا ما نجده اليوم في المجتمعات المتقدمة .

إن هناك جهات عديدة بإمكانها أن تدفع الناشئة – خاصة – خطوة إلى الأمام في هذا الاتجاه ؛ مثل الأسر المتعلمة ، والمدارس ، والجامعات ، والنوادي الأدبية ، والمكتبات العامة ، والجمعيات الثقافية ... وأعتقد أن كل مدينة مِن مدننا جديرة بأن يكون فيها جماعة أو جمعية ، مهمتها التشجيع على القراءة ، والمعاوَنة على توفير الكتاب ، على غرار جمعيات أصدقاء المرضى وحماية البيئة ..

٢ – تكوين عادة القراءة :

البدايات دائمًا شاقة، ونتائج الجهد في البداية تكون ضعيفة ، كما أن الاستفادة مِن الوقت تكون غير مرضية ؛ فالواحد منا يشعر أنه أمضى وقتاً طويلاً مِن أجل أشياء لا قيمة لها !

إن البدايات التربوية الجيدة تبدأ دائمًا في المنزل، والآباء هم المربون الطبيعيون، ولذا كان اهتمامهم بالعلم عاملًا حاسمًا في تطور الموقف النفسي لأطفالهم تجاه قضية التعليم، وذلك كوصف المشاهِد ، وعَقد المقارَنات ، وتمييز المفارِقات ، وغَرس روح النظام والترتيب في حياة أبنائهم اليومية .

إنَّ سردَ حكاية مما يتمتعُ به الطفل، مما ينمي خيالَه المبدع ، ويعطيه درساً في اللغة والتواصـل والقيم أيضـاً . وسـيكون لشـراء الكتب المصـورة، أو وجود مكتبة في المنزل أثرٌ كبيرٌ في توجيه الطفل نحو القراءة .

وتأتي بعد ذلك وظيفة المؤســـســـات التعليمية في رعاية ما بدأه الأهل في البيت، لكنها لن تســـتطيع فِعل شـــيء ذي قيمة إلا إذا كَفَّت عن تلقين المعلومات ، وتوجهت إلى تكليف الطلاب بالرجوع إلى المراجع والموسوعات وتلخيص الكتب، والمناقشات حول الكتب الجديدة ..

إنَّ عادة القراءة لن تتكون لدى الإنسـان إلا عندما يشـعر بشـيء مِن المتعة واللذة عندما يقرأ ، وهذا لن يكون إلا حين تكون القراءة عبارة عن نوع مِن الاكتشاف ، ونوعٍ مِن تنمية العقل وتوسيعِ قاعدة الفهم .

٣ – توفير الكتاب :

لأن القراءة لا تتمتع بأي أهمية لدى الســـواد الأعظم مِن أبناء الأمة، فإننا نسمع شكوى مستمرة من غلاء الكتب، وعدم توفير المال المطلوب لشرائها . ومع أن قسـماً محدوداً مِن الناس لا يجد أيّ سـبيل لاقتناء الكتاب إلا إنه عند التمحيص في حياة معظم الناس سـنجِد أن سـوء تنظيم عملية الإنفاق لديهم هو المسـؤول الأول عن شـعورهم بالعجز عن توفير ثَمن الكتب وغيرها .

ومع هذا فقضية كبرى كقضية القراءة، يحتاج تعميمُها إلى عدد مِن (الحلول المركبة) وليس إلى حل واحد، ومِن تلك الحلول :

١ – إيجاد تنظيمات تُلزِم الهيئاتِ والجهات المختلفة بإيجاد مكتبات مناسبة لتثقيف منسوبيها ؛ مثل النوادي، والنقابات، ومجالس الأحياء، والبلديات ، والشركات ، والمصانع ، والمطارات ...

٢ – إن من المهم أن يكون هناك رابطةٌ لأصدقاء الكتاب، يكون همُّها العمل على توفير الكتاب، مِن خلال المعارض، وتنشيطِ سوق الكتاب المستعمل، والعمل على إصدار طبعات رخيصة التكلفة لأمهات الكتب والمراجع ، وحث الأثرياء على تخصيص مبانٍ ملحَقة ببيوتهم يجِد فيها شداة المعرفة الكتابَ والجوَّ الذي يساعدهم على المطالعة .

٣ – إيجاد نظام وطني لإعارة الكتاب وتبادله بين الهيئات والمؤسسات العلمية .

٤ – قيام الجامعات والهيئات العلمية بتبسيط العلوم، عن طريق إصدار عدد مِن سلاسل (كتب الجيب) في التخصصات المختلفة .

٥ – إن تخصيص ٢% من مصروف الأسرة ، كافٍ لتأمين عدد من الكتب متوسطة الحجم شهريًّا ، وتأسيس مكتبة قيمة في المنزل على المدى البعيد .

٤ – توفير الوقت للقراءة :

إن مِن العسير على مَن لا يعيش عصرَه ، ولا يشعر بإيقاعه أن يَفهم بِدِقَّة ما يقال عن أهمية الوقت ، وأهمية تنظيمه واستثماره والمحافظة عليه ، وهذه ضريبة أخرى مِن ضرائب التخلف الكثيرة !

ولو أن واحدًا منا وضع سجلًا كاملًا يوضح فيه كيفية قضائه لأوقاته خلال أسبوع لوجد أن نحوًا مِن ٢٠٪ من نشاطاته لا يخدم أي هدف، ولا يعود عليه بأي نفع، وليس له أي معنى !

سيكون مفيداً ونحن نبحث عن وقت للقراءة أن نكتشف (الساعة الذهبية) في يومنا ، حيث يكون الواحد منا في قمة نشاطه ؛ كي نستفيد منها في التفكير الإبداعي ، أو قراءة المواد الصعبة ، أو التخطيط لأعمالنا .

٥ – تهيئة جو القراءة :

إن هناك ارتباطًا وثيقًا بين إمكانية الفهم والاستيعاب وبين الأجواء والأوضاع التي تجري فيها عملية القراءة، وهناك شروط عديدة ينبغي توفيرها مِن أجل تهيئة الجو المناسب للقراءة ؛ منها :

١ – يجب أن يكون مكان الدراسة منظمًا وجميلًا، يبعث على الارتياح والانشراح .

٢ – ينبغي أن تكون حجرة الدراسة صحيحة حَسنة التهوية ، جيدة الإضاءة .

٣ – ينبغي أن يكون مكان الدراسة بعيدًا عن الضوضاء داخل المنزل وخارجه .

٤ – ينبغي أن يكون الكرسي مريحًا، وأن يكون مناسبًا لمكتب الدراسة .

وعلى مريد القراءة أن يضع على مكتبه ما يحتاجه مِن أدواتٍ ومراجع ومَعاجم ، حتى لا يضيع الوقت في القيام والقعود ، وحتى لا يَنقطع عن القراءة .

٥ – إن العبرة ليســت بكثرة الجلوس في حجرة القراءة ، ولا بكثرة الكتب التي تُقرأ ، وإنما بالإنتاجية والثمرة التي نقطفها، وهذا يوجب علينا أن نحرص على الاحتفاظ بدرجة مِن الحيوية والارتياح أثناء القراءة، وهذا لا يمكن الحصول عليه إلا مِن خلال جَعل أوقات للاستراحة ، والانشغال بشيء غير التفكير والتعامل مع المعلومات .

لماذا نقرأ ؟

ليســت الحضــارة في جوهرها الوصــول إلى معلومات جديدة ، وإنما توظيف المعارف المتاحة في تحسين نوعية حياة الناس ، والارتقاء بجوانبها المختلفة .

إنَّ ظروف الحياة تجعل الأهداف الباعثة على القراءة تتفاوت تفاوتا بعيدًا ؛ فقد تكون مِن أجل توسيع قاعدة الفهم ، وقد تكون مِن أجل الحصول على معلومات حول موضــوعٍ ما ، وقد تكون مِن أجل التســلية ورفع الحرج ، أو الرضــــوخ لعادة معيَّنة ، أو مَلء الفراغ ، وقد تكون مِن أجل متعة روحية أو عقلية ، أو تلبية لمتطلبات تطور مهني للمرء ، أو استجابة للشعور بالواجب ، أو لإظهار حب المعرفة والتشبه بأهلها !

وكثير مِن النـاس لا يعرف لمـاذا يقرأ ، مع أنَّ تحـديـد ذلـك بـدقـة مهم جداً لتحديد ما يلائم الهدف مِن أنواع الكتب وأنواع القراءة ومستوياتها .

ويمكن أن نقول : إن الأهداف العامة لقراءة معظم الناس ثلاثة ، هي :

١ – القراءة من أجل التســلية، وهذه القراءة الأكثر شــيوعًا بين الناس ؛ لأنها لا تحتاج إلى أيَّة مهارة ، ولا تُكَلِّف جُهداً يُذكَر .

ومع هذا فهذه القراءة لا تخلو مِن فائدة ، وصـــحبة الكتاب خيرٌ على كل حال .

٢ – القراءةُ من أجل الاطلاع على معلومات ، وهي أسلوبٌ يمارسه كثير مِن الناس أيضاً ، والجهد الذي يتطلبه هذا النوع من القراءة محدود أيضًا .
إن في عالمنا الإســـلامي حُمَّى تجتاح كثيراً مِن الناس ، هي حُمَّى البحث عن الأسهل ، والوصول إليه بأسرع وقتٍ ممكن !

٣ – القراءة مِن أجل توسيع قاعدة الفهم، وهي أشق أنواع القراءة وأكثرها فائدة . والذين يقرؤون مِن أجل هذا الغرض قِلة مِن الناس؛ وذلك لأن أكثر الناس يعتقدون أن ما يملكون مِن قدرات ذهنية كافٍ وجيد !
إنَّ القراءة مِن أجل تحســين نوعية الفهم شــاقة جداً منذ بدايتها ؛ فالكتاب الذي يَرقى بِفهم قارئه ليس ذلك الكتاب المفهوم لديه ، أو ذلك الذي يَعرِض معلومات وأفكاراً معروفة ، وإنما ذلك الكتاب الذي يَشــعر قارئه أنه أعلى مِن مســـتواه ، وأنَّ فهمه يحتاج إلى نوعٍ مِن العناء والجدية والتركيز . وحين ينجح القارئ في فهمه ، فإنه يكون قد ارتفع إلى مســـتواه ، وبذلك يكون قد تَحَسَّن تفكيره .
وقد يحدث أن يكون الكتاب مبتوت الصــلة بثقافة القارئ ، أو يحتوي على مصـــطلحات أو أفكار غريبة أو معقَّدة ؛ مما يجعل القارئ يَشــعر بالخذلان والانكســار ؛ وهذا يعني أن القارئ قد لا يكون مِن الشريحة التي يَستهدفها الكاتب . ولذا فإن الكتاب الذي يُحَسِّـــن الفهم ، هو كتابٌ يَتحدى ولا يُعجِز ؛ فهو أعلى مِن مســـتوى القارئ لكن يمكن أن يَرقَى إليه إلى حدٍّ مَقبول .
إن القراءة مِن أجل الفهم هي تلك القراءة التي تُكسِبنا عادات فكرية جديدة ، وتزيد في مرونتنا الذهنية ، كما تنمِّي الخيال لدينا ، وتجعلنا نرســم صــوراً

للأحداث والأشـياء هي أقرَب إلى التكامل ، على الرغم مِن وجود نقص في المعلومات والمعطيات والمتاحة .

أنواع القراءة :☐

أولًا– القراءة الاكتشافية :

لا بد للمرءِ مِن أن يغتبط لكثرة ما يرى مِن الكتب الجديدة في المكتبات في هذه الأيام ، لكن هذا لا يدعو أبداً إلى أن نندفع إلى الشـــراء دون تأمل في مدى مناسبة ما نشتريه لنا .

ونستطيع خلال نصف ساعة أن نصل إلى حكم جيد على الكتاب إذا قمنا بالتالي :

١ – قراءة مقدمة الكتاب ، حيث يكشــف كثيرٌ مِن الكُتَّاب في مقدماتِ كتبِهم عن دوافع التأليف، وأهدافه، والفئة التي يخدمها الكتاب .

٢ – قراءة فهرس الموضـــوعـات ، مِن أجل الاطلاع على موضـــوعـات الكتاب، وأهم مِن ذلك اكتشافُ المنظور المنطقي للكتاب .

٣ – الاطلاع على فهرس المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف في بناء كتابه، حيث إنها تشـكِّل المورد الأسـاس لمعلوماته وصـياغته ، كما أنها تدل على طبيعة معالجته للمادة التي في كتابه ، وســوف يكتشـــف القارئ مِن خلالها الكثير مِن الخلفية الفكرية والثقافية التي تشكِّل ميول المؤلف المعرفية .

٤ – بعض المؤلفين يَضـع ملخصًـا مكثفًا في آخر كل فصـل لما أورده فيه، ومن المفيد قراءة بعض الملخصات لِتَحَسُّس جوهر المادة المعروضة .

٥ – قراءة بعض صفحات من الكتاب ، لمعرفة مستوى المعالجة في الكتاب ، وهذا مهم جدًّا .

ثانيًا: القراءة السريعة :

تقوم فكرة القراءة السريعة على ما هو معلوم مِن أن النظر يقفز مِن مساحة إلى أخرى، وعندما يَستقر على مساحة معينة فإنه يلتقط عددًا مِن الرموز والإشارات، ثم يقفز لِيَستقر ثانية وهكذا ، فانتقال البصر قَفز ، والتركيز يعني التقاط وحدات دلالية ذات مَغزى .

إن القراءة بسرعة كبيرة هي إنجاز مشكوك فيه . إنها ذات قيمة إذا كان ما نقرؤه لا يستحق القراءة !

ومع هذا فإن فكرة التدرب على القراءة السريعة ، والحث على تعلمها ، تقوم على افتراض يقول : إن معظم الأفراد يجب أن تكون لديهم قابلية لأن يقرؤوا بأسرع مما هم عليه ، وأنَّ بإمكان السواد الأعظم مِن الناس أن يضاعِف سرعة قراءته ضعفاً أو ضعفين .

ثالثًا: القراءة الانتقائية :

حين يتجه المرء إلى التعمق في موضوع بعينه، فإنه يكون بحاجة إلى تتبع العديد من المراجع والكتب المتنوعة للعثور على مادة متجانسة، تساعده على تكوين صورة جيدة عن الموضوع الذي يهتم به .

والكتبُ التي يمكن أن يعود إليها أيُّ باحثٍ نوعان رئيسان :

النوع الأول : كتب تنتمي إلى الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه الموضوعُ الذي يريد الباحث خدمته والتعمق فيه .

ويشكل هذا النوع من المراجع المصدر الأساسي للباحث ؛ فعن طريقه يمكن تكوين رؤية جيدة للبنية الأساسية للموضوع ، وللدراسات التي قام بها المختصون حوله .

ومع التسليم بالأهمية القصوى لهذا النوع من الكتب ، إلا أن الاقتصار عليه يجعل معرفةَ القارئ بموضوعه شبهَ معزولةٍ عن امتدادات ذلك الموضوع في فروع المعرفة الأخرى.

النوع الثاني : كتب لا تنتمي إلى الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه الموضوعُ الذي نود سبرَ أغواره، وفائدة مطالعة هذا النوع أنه يعطينا لونًا من ألوان توحيد المعرفة، وإعادة الربط بين فروعها وأجزائها ، وهذا ضروري جداً للفهم الشامل ، وتوسيع الأُفُق ، بل والمعالجة الحكيمة للموضوع الذي نقرأ مِن أجل إثراء خبرتنا فيه .

وهذا البحث عن الأفكار في غير مظانها يحتاج إلى نوعٍ مِن القراءة السريعة جداً ؛ مِن أجل الاطلاع على أكبر عدد مِن الصفحات في وقت قصير . ولابد أن يسبق ذلك تحديد دقيق لهدف القارئ مِن وراء هذا النوع مِن القراءة ، وإلا فقد يُشغِل نفسَه باستخراج الكثير مِن المعلومات والفوائد المتناثرة ، والتي لا يَدري فيما بعد في أي سياق معرفي يستخدمها !

رابعًا: القراءة التحليلية :

إن القراءة التحليلية هي أفضل أسلوب يمكن للمرء أن يتبعه في استِكْناهِ مضمونِ كتابٍ ما في وقت غير محدد، فهي لا تعني الاطلاع فحسب ، بقدر ما تعني نوعاً مِن الارتقاء بالقارئ إلى أفق الكاتب الذي يَقرأ له، ومحاولة النفاذ إلى معرفة شيء مِن مصادره وخلفيته الثقافية ، بل وحواره ونقده والوقوف على جوانب القصور في الكتاب ..

سمات القارئ الجيد :

إنَّ (جمالية التجاوب) لن تتحقق ما لَم يكن هناك فجوة بين ما يعرفه القارئ وبين ما يفاجئه به النص مِن انزياح عن خبرته ، وعن الخبرات السائدة ، بل وعن قدراته الناجزة على الفهم .

إن النص الجيد هو النص الذي يشتمل على فراغات معرفية ، ومَلء هذه الفراغات مِن الآن فصاعداً هو مِن مهمة القارئ الجيد ، وحين يَشرع القارئ في سدِّها تبدأ رحلة التواصل بينه وبين الكاتب .

وحتى يستطيع القارئ أن يستحوذ على أكبر قدر ممكن مِن عطاءات الكتب التي يقرؤها ، فإن عليه ما يلي :

١ – المثابرة على القراءة، والحماسة في متابعتها ، بعزيمة وصبر .

وإذا اعتقد المسلم بأنه ما دام يقرأ شيئاً نافعاً فهو في عبادة فإن ذلك يدفعه بقوة إلى امتلاك روح الدأب ، وأن يفجر في نفسه ولعاً بالقراءة والاطلاع .

٢ – القارئ الجيد يتمتع بقابلية جيدة لاستيعاب الجديد، ويمتلك بنية عقلية متفتحة، تقبل التحوير، وتستفيد من المراجعة .

٣ – القدرة على الاستجابة لنبض العصر الثقافي ضرورةٌ لمن يريد أن يقرأ قراءة مثمرة ينتفع بها ؛ فعمر الإنسان محدود ، وطاقته محدودة ، والفرص للتثقف ليست متاحة دائماً .

إن القارئ الجيد يحاول أن يقرأ للمبدعين في تخصصاتهم ، والأفضل أن يشرب المرء مِن النبع مباشرة ، فالقنوات التي يمر بها الماء قد تُغيِّر طعمَه ، وقد تُفسِده .

إن مِن الاســـتجابة لنبض العصـــر أن نقرأ كتباً وإحصـــاءات حديثة في كل العلوم التي تعتمد على التجربة والتقدم العلمي والتقني ، وهذه الاسـتجابة لا تعني الانفتاح المطلَق وقراءة كل ما هبَّ ودبَّ ، لكنها تعني الوعي بالمعرفة التي يحتاجها مســـلم اليوم ؛ ليعيش زمانه بكفاءة وفاعلية ، والوعي بما يرفع مِن قدرته على مواجهة التحديات المختلفة .

٤ - مِن المهم للقارئ الجيد أن يعرف كيف يتعامل مع الكتب التي عزم على قراءتها .

أنواع الكتب :

هناك نوع من الكتب لا يُقرأ دفعة واحدة، مثل: أمهات المراجع والمعاجم والشــروح الكبرى ، وإنما يعود إليها طالبُ العلم عند الحاجة، ولهذا الســبب فهي تحتفظ بقيمتها قروناً عدة.

ومعظم الكتب في تراث جميع الأمم لا يتطلب فهمُه مهاراتٍ قِرائيةً عالية؛ فهو يقرأ للتسـلية، أو للحصــول على بعض المعلومات ، ومع كونه ممتعاً في الحالتين إلا أنه لا يرفع درجة الفهم عند القارئ ، وهذا النوع مِن الكتب لا يقرأ في العادة سوى مرة واحدة . وهو نوع ينبغي أن يُقرأ بسرعة ، وأن تُنتَزَع منه المعلومات وتُقيَّد في بطاقات .

وثمة نوع ثالث مِن الكتب يَشـعُر المرء معه بأنه بحاجة إلى قراءة بطيئة وتركيز جيد، لكنه يشـعر بعد قراءته أنه أخذ كل ما فيه. وقد يعود إليه القارئ فيما بعد مِن أجل استقصاء نقاطٍ معينة ، أو توثيق إحصائية ، أو إنعاش الذاكرة ببعض أفكاره . وفي هذه الحالة يكون مِن المفيد أن يُدوِّن القارئ بعض ملاحظاته على حواشي الكتاب ؛ توضيحاً لِرَد فعله عليه ، وتسجيلاً لنوع

مِن التقييم له . وهذا النوع لا يمثل أكثر مِن ٥% مما هو مطروح في الأسواق مِن كتب .

وهناك نوع من الكتب هو أقل عدداً بِكثيرٍ مِن النوع السابق ، يشعر قارئه أنه لم يستنفِد كل ما فيه مهما استخدم مِن مهارات القراءة، وأنه يستحق عودة ثانية، لكنه إذا عاد إليه مرةً ثانية لم يَجِد فيه ما كان يؤمله منه .

والسبب أن فهم القارئ قد ارتقَى بسبب قراءة ذلك الكتاب ، وبسبب قراءة غيره . وهذا النوع يحتاج إلى حسن اختيارٍ أولاً ، وإلى اهتمامٍ بالغ مِن القارئ به ، بالإضافة إلى استخدام مهارات عالية في قراءته ، والرجوع إلى بعض الشروح والمراجع .

النوع الأخير من الكتب وهو نادر جدًّا ، نوع لا يَنضُب محتواه، وكلما عدت إليه شعرت أنه ينمِّيك، وكأنه ينمو معك، فتَكتشف فيه أشياء جديدة كلما عدتَ إليه . يجد الفاقهون مِن المسلمين مثل هذا في القرآن الكريم .

وهذا النوع الأخير هو الذي يَتَطَلَّب مِن الإنسان أن يَقرأه على نحوٍ مستمر ، حتى يؤهل نفسَه للارتقاء إلى مستواه ، واستكناه مكنوناته وذخائره .

مبادئ وقواعد :

١ - مهمة الكاتب أن يوصل إلينا بعض المعاني والأفكار مما ابتدعه، أو اقتبسه مِن غيره . ومهمة القارئ تَلقِّي ذلك والاستفادة منه .

إن بين الفكرة التي يعبر عنها الكاتب وبين الكلمة التي يستخدمها لتوصيلها مسافةً ما ، قد تكون طويلة ، وقد تكون قصيرة ؛ وعلى القارئ أن يقطع تلك المسافة من خلال الملاحظة الحادة ، والذاكرة المهيَّأة ، والخيال الخصب ، والذهن المتمرس . هذه القدرات يستخدمها الكاتب أثناء الكتابة

، ويجب أن يســـتخدمها القارئ على نحوٍ ما ، حتى يتم الالتقاء في وســـط الطريق .

٢ - اللغة هي أداة التواصل الأساسية بين بني البشر، وحيث إن اللغة كائن مبدع، والإبداع هو سِرُّ عظمتها؛ إلا أنَّ سِرَّ عظمتها هذا هو نقطة الضَّعف الكبرى فيها ؛ فالتجدد المستمر ، والتوسُّع في المصطلحات ، وأشكال الاســـتعمال والدلالات المختلفة ، وألوان الحقيقة والمجاز ، كل ذلك يَجعل إمكانية الإحاطة بها أمراً مســـتحيلاً ، ولذا فإن على القارئ أن يكون على وعي تام بالمعنى اللغوي للمفردات التي يقرؤها ، وحين يكون للكلمة أكثر مِن معنى – وهذا هو الأكثر – فإن عليه أن يعتمد على الســـياق ، وعلى تذوقه الخاص للغة في تحديد أيِّ معاني الكلمة أراد الكاتب .

كما أن عليه أن يفرِّق بين المدلول اللغوي والمدلول الاصـــطلاحي للكلمة ؛ فكلمة (مشهور) إذا استخدمها عالِم الحديث لها معنى مخالِف للمعنى الذي يريده اللغوي أو غيره !

ومِن وجهٍ آخر فإن على القارئ أن يهيئ آلة الفهم المناســـبة للمجال الذي يقرأ فيه ، فالذي يؤلِّف في مجال العقيدة أو الفقه أو القانون– مثلاً – يكون أقرَب إلى الحرفية والدِّقة في استخدام اللغة .

٣ – سيكون مما يُسَهِّل قراءةَ أي كتاب في أي علم معرفةُ المصادر والمراجع التي رجع إليها المؤلف؛ فمصادِر أيّ باحث توجِّه مَضامين بحثه .

٤ - إن القراءة التحليلية الجيدة تُوجِب نوعاً مِن (التَّفلِيَةِ) للكتاب ، ومحاولةَ إضـــفاء نوعٍ مِن التنظيم على محتواه الداخلي مِن أجل تســـهيل

استيعابه . ومِن الطرق المعينة على ذلك : وضع خط أو نجمة تحت الجُمَل المهمة ، أو استخدام القلم الفوسفوري ، ونحو ذلك .

تساؤلات مهمة قبل شراء الكتاب وأثناء قراءتِه وبعد الفراغ منه :

١ – على القارئ أن يسأل نفسه : هل أنا مِن الشريحة التي يستهدفها المؤلفُ ؟ ؛ لأن قراءة كتاب ليس موجهًا إليك قد لا تنفعك بأي شيء .

٢ – مِن المهم أن يَعرف القارئُ هُويةَ الكتاب والجنس المعرفي الذي ينتمي إليه ؛ لأن فائدته مِن الكتاب ستكون حينها أقرب .

٣ – على القارئ أن يوجه لنفسه أسئلة تتعلق بمدى استيعابه لما قرأه .

وأدوات اختبار الفهم عديدة ، لعل مِن أهمها أداتين :

الأولى : أن يحاول القارئ أن يأتي بأمثلة وملاحظات على القواعد والأفكار والملاحظات التي يثيرها الكاتب .

الثانية : محاولة القارئ تلخيصَ ما قرأه في عبارات وفِقَر محددة، بأسلوبه الخاص .

٤ – مِن المهم أن يسأل القارئ نفسه: ما المسائل التي حاول الكاتب حلَّها ، وتقديم رؤى جديدة حولها ، وإلى أي مدى استطاع إقناع القارئ بحلوله ، ثم ما الأسئلة الجديدة التي طرحها الكاتب في القضايا التي يعالجها ، وما مدى جِدّية تلك الأسئلة وموضوعيتها ، وهل بإمكان القارئ أن يجيب على بعض تلك الأسئلة ، أو يتخذ منها موقفاً محدَّداً .

إن الغرض مِن التساؤلات السابقة أن يَختبر القارئ درجة وعيه بطبيعة ما يقرأ ، وأن يدرِّب ذهنه ومَلَكَاتِه على الفهم العميق والشامل لمجمَل الإشكالات والحلول المعرفية التي تصادِفه أثناء القراءة .

الحوار مع الكاتب :

إن بداية الحوار ستكون مِن قِبل المؤلف ، فهو الذي ينبغي أن يقنِع قارئه أن كتابه جيد ، ويستحق قراءة جيدة ، كما يستحق التساؤل والمناقشة والنقد .

وعلى القارئ – أيضاً – أن يبدأ مِن جهته بداية صحيحة ؛ وذلك بأن لا يَبدأ الحوار واتخاذ موقف مخالف قبل أن يتأكد من أنه فَهِمَ الكتاب على نحوٍ جيد .

إن الكتب الجيدة لم تكن كذلك إلا لأن فيها أشياء تستعصي على فهم فئةٍ مِن القراء ، ولأن فيها أشياء جديدة ، وأشياء أخرى تثير نوعاً مِن الجدل والخلاف ، وهذا كله يُحَفِّز على الحوار ، ويدعو في الوقت نفسه إلى إحداث أشكال مِن الفهم المتعدد .

في الساحات الثقافية نوعا سيئان مِن القُرَّاء : نوع يقرأ قراءة المستسلم للكاتب المعتقِد بصواب ما يقوله ، ونوعٌ هَمُّهُ الأكبر أن يَعثر على الثغرات والهفوات فيما يقرأ ؛ ولذا فإنه يستعجل في القراءة ، ويقرأ بعينٍ واحدة ، وتولِّد تلك الرغبة الجامحة لديه رؤية نصفية لما يقرؤه ، كما تدعوه إلى الحَيف ، وربما إنطاق الكتاب بما لَم يُرِده الكاتِب . وكثيراً ما يقف حول هذا التَّوجُّهِ نفسية مريضة تُصَوِّر لصاحبها أنَّ في موافقة الكاتب نوعاً مِن الإهانة أو الانهزام !

إن حاجة الســاحة الثقافية للتخلص مِن هذين النوعين مِن القراء ملحة حتى يَبلغ التدفق المعرفي منتهاه ، وحتى لا تَتشوَّه البنية المعرفية .

ومِن وجهٍ آخَر لا ينبغي للقارئ أن يصـــدر حكما نهائيًا على الكاتب مِن خلال الكتاب الذي قرأه ؛ لأن الكاتب الجيد ينمو باستمرار .

إلا إذا تبين له أنه آخِر كتاب له .

توجيهات في نَقد القارئ لِما يَقرأ :

١ – إن كثيرًا مِن الكُتَّاب لا يكتفون بعرض وجهات نظرهم حيال الموضوع الذي يعالجونه ، بل يســعون إلى إقناع القارئ بوجهة نظرهم ، وهذا شـــيء مشـــروع ، لكن الملاحَظ أن بعض الكتاب يلجأ في إقناعه إلى اســـتخدام البيان والخطابة، بعيداً عن الإحصاءات والمعلومات الضرورية للإقناع ..

٢ – بإمكان القارئ أن يقول في نقده : (إن بعضَ المعلومات التي نقلها الكاتب عن غيرِه ليســـت صـــحيحة) ، كما أن بإمكانه أن يقول : (إن الكاتب لَم يأت ببراهين مقنعة على ما يدعيه) ، والقاعدة البحثية في هذا الشأن تقول: (إن كنتَ ناقلاً فالصحة ، وإن كنتَ مدعيًا فالدليل) .

ومع ذلك فهناك بعض الاجتهادات والآراء المبتكَرة لا تَســـتنِد إلى أدلة وبراهين محدَّدة ، حيث إنها مِن الاحتمالات الواردة في أصل القضية . لكن ليس معنى هذا أن هذه الآراء لا يصح نقدها ، وإنما يعني أن قائله لا يطالَب بأدلة ، كما أن المنتقِد ليس مطالباً بأدلة على ما يرجِّحه .

٣ – مما يمكن أن يكون نقدًا محددًا القولُ: إن الكاتب أهمَلَ عواملَ أساسية أثناء بعض معالجاته، مما جعلها ناقصة .

والمهم في كل نقدٍ يوجَّه لأي كتاب أو كاتِب أن يوضِّح ما الذي كان على الكاتب أن يفعله ، وأن يتم تدعيم وجهات النظر .

خامسًا: القراءة المحورية :

القراءة المحورية هي تلك القراءة التي تستهدف الوقوف على معلومات وأفكار ومفاهيم تتعلق بموضوع معين .

تستهدفُ القراءة المحورية استخراجَ كل ما يمكن استخراجه من الكتاب المقروء، فتَملُّك ما في الكتاب وفِقهُه هو الغاية منها .

وكثيرًا ما تبرق عناوين لقضايا أو مشكلات، يرى المرء أنها تستحق البحثَ والمعالجة، وكثيرًا ما يجد المرءُ بعد البحث أن الموضوع الذي ظَن أنه يمكن أن يكون محورًا لقراءات مكيفة قد قُتل بحثًا ، أو أنه مِن الضآلة بحيث يَصعب إبرازه على أنه قضية فكرية أو معرفية تستحق العناء .

ولذا فإن ما يَلمَع في الذهن ليس سوى فتحٍ لباب ، وبعد ذلك علينا أن نختبره وفق الخطوات التالية :

الخطوة الأولى : أن يطلع القارئ على الكتب والمراجع التي تعرض الأدبيات العامة للعلم الذي ينتمي إليه الموضوعُ الذي يَقرأ من أجله . ويستحسن له بعد أن يقرأ الكتاب الأول أن يقرأ كتاباً أو أكثر تعرض وجهات نظر معارِضة لِما في الكتاب الأول .

وبعد أن يَجمع القارئ ما يمكنه مِن المصادر والمراجع التي يظن أنها ستساعده في الإحاطة بموضوعه ؛ فإن عليه أن يقوم بقراءة تفحصية سريعة للكتب التي بحوزته ، أو أكثرها ؛ مِن أجل تحديد الموضوع الذي سيقرأ مِن أجله بدقة ، ثم يقرؤها ثانية مِن أجل استبعاد الكتب التي لن تخدم موضوعه ، ومِن أجل

استخراج النصوص التي تهمه ، وكتابتها في بطاقات خارجية ، أو وضع علامات عند الصفحة التي فيها .

الخطوة الثانية : قراءة الفصول والمقاطع والنصوص التي يرى أنها لَصِيقةٌ بالموضوع . ويجب أن تكون القراءةُ هذه المرة تحليليةً ، وأن تخضع لعين القواعد والطرق التي تَقدَّم ذِكرها عند الحديث القراءة التحليلية .

وعلى سبيل المثال : إذا كان البحث يستهدف تجلية موضوع (البطالة) في قُطرٍ مِن الأقطار ، فإنه يجب على القارئ أن يصوغ أسئلة مِن نحو : ما تعريف البطالة ؟ وما حجم وجودها في ذلك القُطر ؟ وما جذورها التاريخية ؟ وما أسبابها القريبة والمباشرة ؟ وما آثارها في الحياة الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية ؟ ومَن هي الجهات المسئولة عنها ؟ وكيف يتم علاجها ؟ وما التغييرات التي يجب إحداثها لتقليصها ؟ وما هي التكاليف المادية والأدبية التي تحتاجها تلك التغييرات ؟ ومَن الذي سيتولى قيادة عملية المعالجة ؟ وما المدة التي يمكن أن يستغرقها ؟ وما العقبات الي يمكن أن تقف في طريقها ؟ ...

الخطوة الثالثة : توزيع النصوص التي اخترناها على الأسئلة التي استطعنا بلورتها . وهنا تَتَبَدَّى قدرة القارئ الجيدة على الاستفادة مما بين يديه ؛ لأن الأجوبة على الأسئلة لن تكون في كثير مِن الأحيان مباشرة ولا صريحة ، ولن يجد القارئ كل الأجوبة على أسئلته في كتب تنتمي إلى الاختصاص نفسه .

وحين يجد الكاتب أجوبة أسئلته لدى كاتبَين أو ثلاثة أو عشرة ، فهذا يعني أنه ليس لديه مشكلة سيتولى حلها ، أو إضافة معرفية قيّمة .

إن القارئ هنا بحاجة إلى درجة عالية من الشفافية حتى يلتقط أجوبةَ أسئلته مِن نصوص ربما كانت في الأساس بعيدةً عن حقل الموضوع الذي يعالجه ، كما أن عليه أن يقوم بعملية ترجمة فكرية واسعة للمفاهيم المختلفة التي تخدم موضوعه ، ثم سكْبها في كتابه بلغته الخاصة ، ووفق نسقه الفكري ومسلماته المعرفية .

وبعد كل هذا ينبغي على القارئ أن يكون على وعي بأن المصـــادر التي جَمَعها قد تعالِج موضوعه معالجة قاصرة أو خاطئة ، ربما لأنها انطلقَت مِن أفق عقدي أو معرفي غير الذي يراه صحيحاً ، ولأجل ذلك ينبغي أن يمتلك مِن الفطنة والقدرة ما يحرره مِن الخضوع لتلك المراجع ، مِن خلال استغلال ما تتمتع به البنية المعرفية مِن مرونة ؛ حيث مِن الممكن أن تُستخدَم الأفكار ضد منتجيها ، حين توضَع في سياق مغاير .

قراءة كتاب في التاريخ (نموذجًا): ☐

لَعلي أوجِز ما يساعِد على تشكيل رؤية حول علم التاريخ في المفردات الآتية :

١ – تَعَرَّض (التاريخ) إلى مواقف متباينة كثيرة ؛ فقد أفرط في تقديسه وتقديره قوم حتى صار عندهم كل شيء ، وقال آخرون : هو لا شيء !

٢- مهما امتلك المؤرخ مِن عناصرَ مساعدةٍ على قراءة التاريخ (مثل : الآثار والنقوش والوثائق المختلفة) ، فإنه لا يستطيع أن يجد كل المواد التي يحتاجها في بناء الصورة التي يوضحها للناس . وقصور الصورة عائد إلى أنَّ مَن كَوَّن الصورة عن حالة مدينة ما في مرحلة ما – مثلاً – ما هم إلا جزء

مِن الصفوة ، والتي ربما تكون قد تشبَّعت بفكرة معينة ، لكنْ ما هو انطباع العامة والمشتغلين بغير التاريخ مِن الناس ؟ هذا ما لا نعرفه !

ثم كيف سيعرف المؤرّخ التفاصيل المطلوبة لمعرفةِ حقيقةٍ تفصله عنها مئات السنين ؛ كما أن التفاصيل التي سيتعمد عليها ليست مِن اختياره دائماً ؛ فكثيراً ما تكون قد اختيرت له مِن قِبل أناس صَدَّقوها وأرادوا مِن الآخرين تصديقها !

إن إشكالية المسألة التاريخية لا تنتهي عند جمع معلومات مجردة ، حيث إنها أيضًا أسلوب رواية، وطريقة تحليل، ومنهج تركيب، وهذه مجتمعة تمثلُ أدواتِ تقديم المعرفة التاريخية .

٣ – مِن أخطر ما يتعرض له العمل التاريخي : (الانتقائية) ؛ فالروايات المتعددة والمتضاربة – أحياناً – حول حادثة ما ، تلزِم المؤرخ أن يختار منها ما يتناسب مع رؤيته العامة لتلك الحادثة . وما دام عمله اجتهادياً ، فإنه سيظل محتملاً للخطأ والصواب .

٤ – طبيعة العمل التأريخي تُملي نوعًا من الالتزام الأدبي على المؤرخ نحو قرائه ؛ فهو إلى جانب شعوره بضرورة توخي الدقة والأمانة ، يَشعر بضرورة تقديم صورة كاملة أو شبه كاملة عن الحدث الذي يؤرّخ له .

والمعلومات مهما كانت وافرة فإنها لا تكون كافية لمعرفة الجذور العميقة للحدث ، ولا الدوافع التي أدت إليه ، ولا السياق الذي وقع فيه ، ولا النتائج المترتبة عليه .. ولذا فإن المؤرخ يَعُدُّ الحقائق القليلة المتوفرة لديه تمثّلُ كلَّ الحقائق المحيطة بالحدث، وعليه مِن جهته أن يسد الثغرات، ويكمل

النواقص التي فيها، ولن يكون ذلك إلا مِن خلال إصـــدار ســـلســـلة مِن الأحكام المقبولة التي ترسم صورة ما للواقعة التي يتحدث عنها .

٥ - اختلاف المؤرخين في سَوق الأحداث وتحليلها واتخاذ موقف شخصي منها يعود إلى أسباب كثيرة، ولعلنا هنا نشير إلى أهمها في المفردات الآتية :

أ - للمزاج تأثيره في صـياغة الحدث التاريخي، حيث يتشـكل لدى المؤرخ عبر حوادث ومواقف وقراءات نوعٌ مِن انطباع محدَّد تجاه أشـخاص أو فئات أو مذاهب أو بلدان أو حِقَبٍ تاريخية ، وهذا الانطباع يصبح مع مرور الأيام جزءاً مِن المزاج الفكري والعقلي الذي يؤثر في مقولات المؤرّخ وتحليلاته .

ب - مهما بلغ المؤرخ مِن العالمية، فإنه في النهاية يظل ابن بيئته ومحيطه، ووليد لحظات زمانه المتغير، فالبيئات الجغرافية والاجتماعية والثقافية، بكل ما تحمله مِن ثوابت وملامح ومعطيات وتقاليد ومفاهيم وأفكار وأمزجة؛ تبرمج آليةَ التفكير والتحليل والتفسير لدى المؤرخ .

ولذا فقبل أن تَدرس المؤرّخ ادرُس بيئتَه التاريخية والاجتماعية .

ج - حاوَل الباحثون في فلسفة التاريخ أن يقفوا على العوامل الرئيسة التي تتحكم في سير التاريخ، وقد تَشعَّبَت بهم السبلُ وأخذ منهم الاختلافُ كلَّ مأخذ في العامل الحاسـم، وقد وُجِد لكل عاملٍ أنصـاره ومؤيدوه الذين يسـتطيعون ألا يَروا سـواه مؤثراً في أحداث الحياة . وحين يكون المؤرّخ مؤمناً بعاملٍ ما فإنه لا يجد بدًّا مِن التركيز على كل ما يدعم هذا العامل .

٦ - النتيجة التي يمكن أن ننتهي إليها مِن وراء كل ما سـبق هي أنه ليس في أعمال المؤرخين موضـوعية مطلقة؛ لأن المؤرخ مهما أكثر مِن محاولات إلزام نفسه بالبعد عن التحيز، فإنه لن يتوقى ذلك على نحو تام .

إن المؤلف لا يمكنه أن يبدأ في فهم أحداث التاريخ إلا إذا افترَض افتراضاً سابقاً بعض القضايا الخاصة بالطبيعة الإنسانية ، واستخدَم بعض القضايا مما هو مألوف ومفهوم في السلوك الإنساني ، وهذا سيكون مِن معطيات اطلاعه وثقافته وبيئته وعصره .

٧ – حين يقع حدث تاريخي ما ، فإنه لا يقع في فراغ فكري أو اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو جغرافي ، فهذه الجوانب التي تكتنف أعمالَنا تظل عواملَ مؤثرة في صياغة حجم الحدث ومضمونه، ودلالته ، ونتائجه ، ووَقعِه في حِس الناس المعاصِرين له .. وما لَم يُراعِ المؤرخُ وقارئُ التاريخ كل ذلك فإنه قد يسيء الفهم .

٨ – لَم نُرِد مِن وراء ما ذكرنا الحطَّ مِن قدر التاريخ ولا المؤرّخين ، وإنما أردنا أن نوضح بعضَ المعالم التي تساعد على تكوين خلفية ثقافية لدى مَن يطالع كتب التاريخ ، على أمل أن يكمل القارئ دور المؤرخ ، فالكتاب التاريخي– كأيِّ كتابٍ آخَر – لا يؤدي رسالته المعرفية من غير تَلَقٍّ حَسَن من قُرائه .

ومما يساعد القارئَ لكتابٍ تاريخي على فهمٍ عميقٍ ومتوازنٍ أن يقوم بطرح سلسلة مِن الأسئلة ، ثم يحاول التماس أجوبةٍ لها ، وذلك نحو :

أ – هل المؤرخ ذو صبغة مذهبية معينة، أو اتجاه فكري معين ؟

إذا كان الأمر كذلك فإنه مِن العسير جداً على المؤلف أن يقدم رؤية منصفة ومتوازنة للموضوع الذي يعالجه ..

ب – هل البيئة التي ينتمي إليها بيئة مغلقة يسود فيها التفكير النمطي ، الذي يختصر كل تنوعات الوجود لتتطابق مع عدد محدود من المفاهيم والعادات السائدة ، وحيث المرتع الخصب للشائعات والتعصب .. أو هي

بيئة مفتوحة تختلط فيها الأعراق والأجناس والثقافات ؟ .. هل المؤلف ممن رحل خارج بلاده ، أو أنه محلِّي العلم والثقافة والخبرة ؟ .. هل كان المؤلف حين كتب كتابه يَمر بأزمة جَعَلت التشاؤم يَغلب على تصويره للوقائع ، أم كان يَمر بحالة ازدهار وانتصار جَعَلت الغالب هو طابع الاستبشار والتفاؤل ؟ ..

ج – هل المؤرخ ممن يحاول أن يترك مسافة واعية بين رأيه الشخصي وبين الأحداث التي يؤرخ لها ؟ أو أنه يحلل الخبر وينقده ويتخذ موقفاً منه ؟

د – هل المؤرخ على دراية حسنة بما يكتب عنه، وهل مصادره التي اعتمد عليها موثوقة ؟ أم أنه كان يَحشر الغث والسمين ويَجعل العهدة على الراوي ؟ وهل المؤلف كان معاصراً للأحداث التي يتحدث عنها ؟ وإذا كان كذلك فهل المعاصرة كانت عاملاً إيجابياً في توثيق عمله ؟ أو أنه وقع تحت ضغوط معينة ؟

هـ – هل المؤلف يكثر من التفاصيل الدقيقة في رواياته، أو أنه يكتفي بالوقوف عند أصول الأخبار والوقائع؟

إن معرفة الجواب عن هذا السؤال مهمة ؛ لأن الوقوع في التحريف والخلط والوهم والمبالغة لا يقع في الخطوط العريضة – غالباً – ، وإنما يقع في التفاصيل الدقيقة والجزئيات والتفسيرات التي يسوقها المؤلف ، وهذا يوجِب لزوم الحذر عند القراءة .

إن المتأمل في الآيات والأحاديث التي اتخذت مِن الحوادث التاريخية موضوعاً لها ، يجد أنها لا تهتم بالتفاصيل – غالباً – ، وإنما تتوقف عند أساسيات

الواقعة ، وعند الدروس والعبر المســـتفادة منها ، ولو أن المؤرخين اتبعوا هذا المنهج لَتوقَّوا الكثير مِن الخَلط الذي وقعوا فيه .

الخاتمة :□

كان القصد الأساسي من وراء هذه الرسالة تعزيز الاهتمام بممارسة القراءة واصطحاب الكتاب، بالإضافة إلى تحسين فعل القراءة، واستثماره على أفضل وجه ممكن .

ولا يخفى أن ما ذكرناه هو النموذج الأرقى في تنظيم الجهود القرائية، وسيكون بإمكان كل قارئ أن يقترب من ذلك النموذج على مقدار ما تسمح به إمكاناته وظروفه .

إنني أعتقد أننا سننال من القراءة أكثر؛ كلما كان وعيُنا بما نريده من ورائها أكثرَ نضجًا وتنظيمًا.

والله أسأل أن يلهمنا الصواب في الأمر كله ، وأن يهيئ لأمة الإسلام سلوك سبيل الرشاد ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .